خِتَانُ الإِنَاثِ

بقلم

د. زين بن محمد العيدروس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، على نِعمه وآلائه، يحب التوابين والمتطهرين من عباده، كريم جميل، يحب الجمال، جعل الطهارة الظاهرية، طريقاً للطهارة الرُوحية، أحمده حمد معترف بالتقصير، وأسأله الأمن لنا يوم المصير، ونسأله أن يطهر ظوهرنا من الأنجاس، ويطهر بواطننا من الأدناس، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي طهر الله قلبه ولُبه، ونقى ظاهره وسره، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، ومن تبعهم من الأبرار، أما بعد :

اعتنى الإسلام بنظافة الإنسان كما اعتنى بنظافة الجنان، فالإسلام دين الروح والجسد معاً، فهو دين الفطرة، وأُسس الفطرة قائمة على التخلي عن الشوائب والأقذار، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:(**خمس من الفطرة: الختان، والإستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب**)[1]، وعن عائشة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال :(**عشر من الفطرة: قص الشارب،وإعفاء اللحية، والسواك،واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء**)[2]، وعن أبي أيوب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(**أربع من سُنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح**)[3].

فقد شرع الإسلام قلم الأظافر وحلق العانة والختان ونحوها رعاية للنظافة، وحذراً مما يتجمّد من الأذى تحت الأظافر، ومنابت الشعر وجلدة الإحليل، وهذا من أهم العناية في التربية البدنية الصحية، لمحاربة الجراثيم، وإزالة الأقذار ومقاومة السموم، فما أجلَّ هذا الدين، وما أعظم مبادئه وإرشاداته:

دينٌ يُشيِّدُ آيةً في آيةٍ * لِبَناتُهُ السوراتُ والأضواءُ**

الحقُّ فيه هو الأساسُ كيف * لا واللهُ جَلَّ جلاله البنّاءُ.**

فنظافة الأجساد لها أثر كبير في حياة الفرد بين مجتمعه، فهو بعيد عن الأمراض، بعيد عن الهموم والغموم، نيّرُ القلب والسريرة، يألفه الناس ويألف الناس، محبوب عند أهله وأولاده بل أقرب

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ك: اللباس، باب: قص الشارب ح٥٥٥٠، ومسلم في صحيحه ك: الطهارة،باب: خصال الفطرة ح٢٥٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ك: الطهارة، باب: خصال الفطرة ح٢٦١.

(٣) رواه الترمذي في سننه ك: النكاح، باب: فضل التزويج ح١٠٨٠، وقال: حسن غريب، وأحمد في مسنده ٥/٤٢١.

إلى الملائكة الكرام، وأحقُ بمحبة الله تعالى له قال الله تعالى:((**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**))[1].

فقد شرع الله تعالى الطهارة في العبادات وجعلها شرطاً لصحتها، وما هذا إلا لمقاصد عظيمة سواء أدركناها أولم نُدركها، فقد شرع الله سبحانه الوضوء، والغسل للجمعة والجماعات، والسواك والتزيّن والتطيّب، قال الله تعالى:((**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**))[2].

فالإسلام هو السبّاق إلى أصول الصحة العامة قبل ظهور العلم الحديث، كيف لا، وهو الدستور الرباني، الذي يكفل السعادة للبشر في دينهم ودنياهم وآخرتهم، فهو دين تهذيب وترتيب وتأديب.

إننا نسمع في هذه الأيام حملةً شرسة ضد ختان الإناث، ونسمع مباشرة من وسائل إعلامنا من يقول علناً:(**ختان الإناث جريمة إنسانية واعتداءٌ جسدي في حق طفلة بريئة**)، ويا لَلْهول أما يأمرنا به شرع الله تعالى يكون جريمة !!

إن الذين يَدْعُون إلى عدم ختان الإناث إنما يدعون إلى ترك فطرة الإسلام !! من الختان إلى العقيدة، ولكن قليلاً قليلاً، وشيئاً فشيئاً بالمعاملة التي لا تثير الإحساس بالخطر. وهذا هو الذي يهدفون إليه أن تُبدّل شريعة الإسلام الحنيفيّة السّمحة، إلى دين مُشوّهٍ ممسوخ، فتتساوى الرؤوس، قال الله تعالى:((**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**))[3]، فلا بد من وقفة جادّة مع هذا الأمر، والقرار الذي أصدرته وزارة الصحة والسكان عام ٢٠٠٥م قرار رقم ( ) مادة رقم ( ) من منع ختان الإناث.

لقد مارس الختان للذكور والإناث شعوباً كثيرة كالشعوب الأصلية لاستراليا، وغينيا، والمصريون القدماء، والحبشة، وعدد من مناطق أفريقيا، وأمريكا الجنوبية بالإضافة إلى المسلمين.[4]

فالختان مجمع على مشروعيته، وأنه من الفطرة التي أمر الله تعالى بالمحافظة عليها للذكر والأنثى،

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٢.

(٢) سورة المائدة آية ٦.

(٣) سورة النور آية ٦٣.

(٤) انظر: الختان للدكتور محمد علي البار ٥٤.

ولم يقل أحد من الأئمة المجتهدين أنه غير مشروع، إلاّ أنهم اختلفوا هل يجب أو يسن؟ **فالشافعية والحنابلة** قالوا: الختان واجب على الذكور وكذا الإناث عند الشافعية، خلافاً للحنابلة فقالوا في حقهن: أنه سنة [١].

وقال **الحنفية والمالكية** : الختان سنة في حق الذكر والأنثى، لكنهم قالوا: إنه من شعائر الإسلام فلو اجتمع أهل بلدة على تركه حاربهم الإمام فلا يترك إلا لعذر[٢].

وقد أمر الله تعالى المسلمين بإتباع ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن ملته الختان، قال الله تعالى:((**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**))[٣]، وقال سبحانه : ((**قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**))[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :(**اختتن إبراهيم . عليه السلام . وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم**)[٥]. والختان من سنن الفطرة المأمور بها الذكور والإناث معاً.

عن جابر ﷺ: (**أن رسول الله ﷺ عَقَّ عن الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَخَتَنَهُمَا لِسَبْعَةِ أَيَّامٍ**[٦])[٧].

ومن الأحاديث الواردة في ختان الأنثى بالخصوص قول النبي ﷺ للخاتنة:(**لا تَنْهِكي فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب إلى البعل**)[٨]، وقال ﷺ لأم عطية . ختانة كانت بالمدينة المنورة .:(**إذا**

---

(١) انظر: المجموع للنووي ٣٠١/١، ومغني المحتاج لابن قدامة ١٤١/١، وعند الزيدية خلافٌ في وجوبه إلاّ أنه نقل الإمام يحيى عن العترة: أنه واجب على الذكور والإناث. انظر:التاج المذهب لأحكام المذهب للمرتضى الزيدي ٥٦/٦.

(٢) انظر:الدر المختار ٣٢٤/٩، وفتح القدير ١٦٢/٧، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٣٩٢/٦.

(٣) سورة النحل آية ١٢٣.

(٤) سورة آل عمران ٩٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ك:الأنبياء،باب: قول الله تعالى:(واتخذ الله إبراهيم خليلاً) ح٣١٧٨.

(٦) يقول د. محمد علي البار : أن الأبحاث الطبية أثبتت فائدة الختان العظمى في الطفولة المبكرة، ابتداءً من يوم ولادته وحتى الأربعين يوماً من عمره على الأكثر، وكلّما تأخر الختان بعدها كثرت الالتهابات، في القلفة والحشفة والمجاري البولية.

(٧) رواه الطبراني في معجمه الأوسط١٢/٧ وقال : لم يقل هذا الحديث أحد من الرواة وختنهما لسبعة أيام إلا زهير بن محمد، وفي معجمه الصغير١٢٢/٢، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير والكبير باختصار الختان، وفيه محمد بن أبي السري، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه لين مجمع الزوائد٥٩/٤، والبيهقي في سننه الكبرى٥٦٢/٨.

(٨) رواه أبو داود في سننه ك: الأدب، باب: ما جاء في الختان ح٥٢٧١، وقال: ليس هو بالقوي وقد روي مرسلاً. إلّا أن للحديث طرقاً كثيرة تُقويه كما سيأتي.

خفضتِ فأشمّي ولا تَنْهِكي، فإنه أنظر للوجه وأحظى عند الزوج)[١]، ومعنى قوله ﷺ :(**فأشمّي)** أي: خذي اليسير في خفض المرأة، وقوله ﷺ :**(ولا تَنْهِكي)**أي: لا تستأصلي البظر، فشبّه النبي ﷺ القطع اليسير بإشمام الرائحة[٢].

قال الإمام **الغزالي** رحمه الله تعالى . في الحديث المذكور:(فانظر إلى جزالة هذا اللفظ في الكناية، وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا، حتى انكشف له وهو أمي من هذا الأمر النازل قدْره ما لو وقعت الغفلة عنه، خيف ضرره، فسبحان من أرسله رحمة للعالمين؛ ليجمع لهم ببعثته مصالح الدنيا والدين)[٣].

هذا هو الختان الذي أمر به الرسول ﷺ أمته، وبهذه الطريقة الصحيحة السليمة. أما ما يتم في مناطق كثيرة من العالم، ومنه بعض بلاد المسلمين مثل: الصومال والسودان وبعض الأرياف، من أخذ البظر بأكْملِهِ أو أكثره أو مع الشفرتين الصغيرتين فمخالِفٌ للسنة، ويؤدي إلى مضاعفات كثيرة مثل النزيف والالتهابات الميكروبية أو البرود الجنسي ونحوها، وهذا الختان المعروف باسم الختان الفرعوني، وهو على وصفه لا علاقة له بالختان الذي أمر به النبي ﷺ[٤].

فالحملات ضد ختان البنات لا مبرر لها؛ لأن المضاعفات التي يتحدثون عنها ناتجة عن شيئين لا ثالث لهما: مخالفة السنة، وإجراء العملية دون طهارة مسبقة ومن قبل غير ذوي الخبرة بسبب الجهل.

وفي **المؤتمر الطبي الإسلامي** عن الشريعة والقضايا المعاصرة المنعقد بالقاهرة (عام **١٩٨٧م)** قدمت فيه بحوث عن خِفاض الأنثى، أكّد فيه د. محمد عبد الله سيد **خليفة**: أضرار الختان الفرعوني وتشويهه للأماكن الحسّاسة من جسد الأنثى، وأن الخافضة هنا تُنهك إنهاكاً، فتزيل البظر بكامله والشفرين إزالة شبه تامة، ممّا ينتج عنه ما يسمّى بالرتق وهو: التصاق الشفرين ببعضهما .

وأكد ذلك د. محمد حسن **الحفناوي** وزملاؤه من جامعة عين شمس وبيّنوا : أن أضرار ختان الأنثى ناتج عن المبالغة في القطع، الذي نهى عنه نبي الرحمة ﷺ أو عن إجراء الخفض بأدوات غير

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه ٦٠٣/٣، والبيهقي في سننه الكبرى ٣٢٤/٨، والطبراني في معجمه الأوسط ٢٢٣/٢، والحديث حسّنه الزيلعي في نصب الراية ٤٤٥/٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ٣١٢/٥، فالحديث حسن لطرقه.

(٢) انظر: لسان العرب مادة شمم ٣٢٥/١٢، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير ٢٢٣/٢.

(٣) إحياء علوم الدين ١٤٨/١.

(٤) انظر: الختان للدكتور محمد علي البار ٧١ ٧٢.

عقيمة أو بأيدي غير خبيرة، وليس عن الختان الشرعي نفسه.

ولختان الإناث فوائد كثيرة فمنها :

١. إتباع الفطرة التي أمر الله بها وإتباع للنبي ﷺ ، قال الله تعالى :((**فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**))[١].

٢. ذهاب الغِلمة والشَّبق . شدة الشهوة . وفي ذلك من المحافظة على العفّة ، ولا ريب أن الختان وحده لا يمنع عُهْراً، ولكنه مع التربية الحسنة يساعد مساعدة مهمةً في ذلك.

٣. إن في إزالة القلفة من المرأة يُعدِّلُ شهوتها فتكون بذلك أحظى عند زوجها كما ورد في الأحاديث عن النبي ﷺ ، وقد أكّد هذا الأمر أحدُ الأطباء في بحثه المقدّم إلى المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي عام ١٩٨٦م في بحثه عن ختان الأنثى.

٤. منع الالتهابات الميكروبية التي قد تتجمع تحت القلْفة[٢].

٥. منع الروائح الكريهة وقد يؤدي إلى التهاب المهبل أو الإحليل؛ بسبب تراكم مفرزات الشفرين الصغيرين عند القلفاء .

٦. يقلل الحساسية المفرِطة للبظر الذي قد يكون شديد النمو.

٧. منعه من ظهور تضخم البظر أو ما يسمّى بإنعاظ النساء، وهو إنعاظ متكرر أو مؤلم مستمر للبظر، كما يمنع ما يسمى نوبة البظر وهو: تهيج عند النساء المصابات بالضنى يرافقه تخبّط بالحركة وعلّمة شديدة.

في عام ١٩٩٠م كتب البروفيسور **ويزويل** قائلاً: (لقد كنتُ من اشد أعداء الختان، وشاركت في الجهود التي بُذلت عام ١٩٧٥م ضد إجرائه، إلّا أنه في بداية الثمانينات أظهرت الدراسات الطبية، زيادة في نسبة حوادث التهابات المجاري البولية عند الأطفال غير المختونين، و بعد تمحيص دقيق للأبحاث التي نشرت، فقد وصلتُ إلى نتيجة مخالفة وأصبحت من أنصار جعل الختان أمراً روتينياً يجب أن يجري لكل مولود)[٣] .

---

(١) سورة الروم آية ٣٠.

(٢) انظر: الختان للدكتور البار ٧٣ ،٧٤، وحكم الإسلام في الختان للشيخ عبد الرحمن حسن محمود ٢٦ ،٢٨.

(٣) انظر ما كتبه د . محمد نزار الدقر : في مقاله المفيد الختان بين الطب والإسلام ، مجلة حضارة الإسلام ١٤ رمضان ١٣٩٣هـ.

ملاحظات وتنبيهات :

أولاً: على العلماء والأطباء والمتخصصين تنوير المسلمين بقضية ختان الإناث، وأنه مشروع، وله منافع دينية وصحية.

ثانياً: يتحمّل المسؤولية أمام الله تعالى، كل من كان سبباً في منع ختان الإناث أو أصدر القرار بمنعه أو تشويه صورته المشروعة، وليعلم أن ما يفعله ممّا يخدم أعداء الأمة.

ثالثاً: على أولياء الأمور المحافظة على ختان أولادهم ذكوراً كانوا أو إناثاً؛ فإنهم مسؤلون عن ذلك، وهذا من جملة رعايتهم ففي الحديث :(**فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**)[1].

رابعاً: يجب علينا معشر المسلمين أن نكون يقظين لوسائل حربنا من قبل الكافرين، بمثل هذه الأساليب، والخوض فيما يتعلق بشرعنا من التشكيك فيه أو الطعن في صلاحيته، فأعداء المسلمين يريدون أن يفتشوا في ثيابنا؛ ليشغلونا عن كُبرى قضايانا كقضية فلسطين .

خامساً: نوجه شكرنا وتقديرنا للذين يزاولون مهنة الختان خصوصاً خِفاض الإناث مع ما يجدونه من مضايقات من قبل وزارة الصحة أو المغرضين فنقول لهم :(**إنكم على الفطرة سائرون، وعلى الشريعة قائمون**)، لكن يجب عليهم أن يقطعوا جزءاً يسيراً من البظر كحبة السمسمة فقط، وألاّ يستأصلوه أو يقطعوا جزءاً كبيراً كما يفعله بعضهم، فيظلموا الإناث ويمنعوهن نعمة وهبها الله تعالى لهنّ، بل يتعدّى ذلك إلى ما هو أخطر منه حيث تُصاب الأنثى أحياناً بمضاعفات والتهابات أو مشاكل في الولادة، فليتق الله تعالى هؤلاء.

سادساً: أن تعمل الجهات المختصة كوزارة الصحة بالقيام بدورات تثقيفيّة وتأهيلية؛ لإجراء الختان بطريقة شرعيّة صحيحة، ومحاسبة الإخلال بذلك.

هذا والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه زين محمد حسين العيدروس

المكلا. حضرموت ٢٠٠٨/٦/٢٢م

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ك: العتق، باب: العبد راع في مال سيده ح٢٤١٩.